شَرْحُ

رِسَالَةِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ

رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أ. د. عَارِفِ بْنِ مَزِيدٍ السِّحَيْمِيِّ

حَفِظَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

مقدّمةُ الشَّرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ هذه الأمة الإسلامية، قد تعبَّدها الله جل وعلا بلزوم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفق فهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وحذَّرها مما يناقض هذا الأمر من بدعٍ ومحدثات، وإن المتأمل في النصوص الشرعية؛ ليجدها مليئةً بالحث على لزوم السنة واجتناب البدع والمحدثات، ومن ذلك قول الله ﷻ:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢١] أسوة حسنة؛ يعني: قدوة تقتدون به -صلى الله عليه وآله وسلم- في اليقين والصبر وسائر الفضائل.

وجاء في حديث العرباض بن سارية -رضي الله تعالى عنه- قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجِلت منها القلوب، فقال قائلٌ: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فما تعهده إلينا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطَّاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنَّه مَن يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة**» رواه أبو داود.

وجاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ: إذا خطب؛ احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيشٍ يقول «**صبحكم، ومساكم**»، ويقول: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»، والنصوص الواردة في هذا الباب كثيرةٌ جدًا.

ومن نعم الله جل وعلا على الأمة عمومًا وعلى أهل السنة والجماعة على سبيل الخصوص؛ أن قيَّض للدفاع عن دينه وصيانته علماء أمدهم بحُسن الاتباع ولزوم الحق، فقمع الله بهم البدع، وأبطلوها بالحجج البينة، وقاموا بما أوجب الله عليهم خير قيام، بل لم يقتصروا على القيام بهذا الواجب فحسب، بل تعدى ذلك إلى حثِّ إخوانهم على سلوك منهج السلف والثَّبات عليه والدعوة إليه، فكانوا

متَّصفين بأوصاف أهل الفلاح الذين قال الله جل وعلا في شأنهم: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر:٣].

فكان يوصي بعضهم بعضًا بالحق، ويحثُّه عليه، ويرغِّبه فيه.

ومن الوسائل التي يحصل بها نشر الدين والسنة والتَّواصي بالحق: وسيلة الكتابة والمراسلة، وهي وسيلةٌ عتيقة استخدمها النبي ﷺ في مراسلة ومكاتبة الملوك والأمراء والقبائل، فقد دعا الملوك إلى الله ﷻ مكاتبةً ومراسلة؛ كما جاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه؛ أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كلِّ جبارٍ يدعوهم إلى الله. رواه مسلم.

ومراسلات العلماء فيما بينهم كثيرة جدًا، ومن المراسلات النَّافعة في بابها: مراسلة أسد بن موسى لأسد بن الفرات -رحمهم الله-، ولما كانت هذه الرسالة مشتملة على فوائد عقدية ومنهجية نفيسة جدًا؛ فقد اخترت هذه الرسالة لأتدارس معكم أهم ما فيها من فوائد.

وقبل الشروع في شرح هذه الرسالة؛ من المناسب التعريف بالرسائل والترجمة المختصرة لأسد بن موسى وأسد بن الفرات رحمهم الله.

- أما الرسائل في اللغة: فمعناها التتابع والتوجيه.

قال ابن منظور: "والإرسال التوجيه ... وَتراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض".

- والرسائل في الاصطلاح: لها تعاريف كثيرة لكن من أخصرها: " تبليغ أحد كلام الآخر من دون أن يكون له دخلٌ في التصرف للآخر، ويقال للمبلِّغ رسول، ولصاحب الكلام مرسل، وللآخر مرسلٌ إليه".

وأما أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهو الإمام الجليل؛ أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان الأموي، يقال له: أسد السنة.

روى عن: ابن أبي ذئب، والليث بن سعد، وشعبة، ومعاوية بن صالح، ومحمد بن طلحة بن مصرف، وحماد بن سلمة، وخلق...

وروى عنه: أحمد بن صالح المصري، والربيع ابن سليمان، ودُحيم، ومحمد بن عبد الرحيم البرقي، والمقدام بن داود الرُعيني.

قال عنه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مشهور الحديث".

وقال ابن يونس: "ولد بمصر ويقال بالبصرة سنة (١٣٢ هـ) وتوفي بمصر في المحرم سنة (٢١٢هـ)".

قال عنه ابن يونس: "ثقة".

وقال العجلي: "صاحب سنة".

ومن مؤلفاته: كتاب "الزُهد" وهو محققٌ ومنشور.

وأما أسد بن الفرات: فهو الإمام العلامة القاضي الأمير، أبو عبد الله الحراني، ثم المغربي.

ولد بحرَّان سنة أربع وأربعين ومئة.

ودخل القيروان مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفرات بن سنان من أعيان الجند.

روى أسد عن مالك بن أنس الموطأ، وعن يحيى بن أبي زائدة، وجرير بن عبدالحميد، وأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن.

وأخذ عنه شيخه أبو يوسف، وقيل: إنه تفقه أولًا على الإمام علي بن زياد التونسي.

وحصلت بإفريقية له رياسة وإمرة، وأخذوا عنه، وتفقهوا به.

وقد مضى أسد؛ أميرًا على الغزاة من قبل زيادة الله الأغلبي متولي المغرب، فافتتح بلدًا من جزيرة صقلية، وأدركه أجلُهُ هناك في ربيعٍ الآخر، سنة ثلاث عشرة ومائتين.

هذه الرسالة التي بين أيدينا؛ أخرجها الإمام محمد بن وضاح القرطبي، المتوفى سنة (٢٨٧ هـ) في كتابه "البدع"، وذكر أغلبها الشاطبي في "الاعتصام"، ولعله نقلها عن ابن وضاح -والله أعلم-، وذكرها كذلك ابن خيرٍ الإشبيلي في "فهرسته".

هذا مدخل قبل شرح هذه الرسالة ونشرع على بركة الله في شرحها؛ مستعينين بالله عزَّ وجلَّ.

روى ابن وضاح عن غير واحدٍ:

أنَّ أسد بن موسي المسمى (أسد السنة) كتب إلى أسد بن الفرات، قال أسد بن موسى: اعلم أي أُخي.

الشرح

بدأ أسد بن موسى رسالته بقوله: "اعلم" وهي فعل أمر مبنيٌ على السكون؛ من العلم وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وصنيعه هذا؛ من باب اختيار المقدمة المناسبة للكلام، يعني: كن متهيئًا لما سيلقى إليك في هذه الرسالة من وصايا مهمة.

ثم قال: "أي أخي" بالتصغير، وهو تصغير تعطف وتلطف بالمدعو.

فقيام المرء بحق النصح مع إظهار الشفقة على المنصوح والتلطف معه في الأسلوب فيه مدعاةٌ لقبول الحق من الناصح وهذا المسلك دلت عليه السنة النبوية.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " باب جواز قوله لغير ابنه: يا بُني واستحبابه للملاطفة قوله ﷺ لأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا بُني» وللمغيرة: «أي بُني»، وفي هذين الحديثين؛ جواز قول الانسان لغير ابنه ممن هو أصغر سنًا منه يا ابنى ويا بُني مصغرًا ويا ولدي، ومعناه: تلطف وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة، وكذا يقال له ولمن هو في مثل سن المتكلم: يا أُخي للمعنى الذى ذكرناه، وإذا قصد التلطُّف كان مستحبًا كما فعله النبي ﷺ".

فعلى المربين والموجهين والمعلمين والدعاة إلى الله ﷻ أن يسلكوا هذا المنهج في خطابهم مع المدعوين ويسلكوا جميع الأساليب التي فيها تلطفٌ ورفقٌ بالمدعوين، كما هو منهج المعلم الأول نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-.

"إنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله".

الشرح

في هذه العبارة جملة من المسائل من أهمها ما يلي:

المسألة الأولى: كتابته هذه الرسالة ابتداءً دون طلب من أحد، عنوان المحبة الصادقة بين الناصح والمنصوح، وبرهانٌ على صدق المرء وسلامة قلبه وقيامه بواجب النصيحة وتعاونه مع أخيه على البر والتقوى وتشجيعه على الثبات على المنهج الحق.

وكل هذه الصفات الحميدة من مقتضى ولاية المؤمن لأخيه، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [التوبة:٧١].

قال القرطبي رحمه الله: "أي قلوبهم متحدةٌ في التواد والتحاب والتعاطف".

فهم أنصارٌ يتعاونون على العبادة ويتبادرون إليها وكل واحدٍ منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته.

فجديرٌ بأهل العلم أن يشجِّعَ بعضهم بعضًا على الثبات على السنة والصدع بها والوقوف ضد أهل البدع والأهواء وبخاصةٍ في هذه الأزمان التي علا فيها صوت الباطل وتتابعت فيها الفتن بأنواعها وقلَّ فيها المعين والناصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهذا المسلك طريقٌ سلفي سار عليه القدامى والمُحدثون.

ومن أمثلة ذلك: ما كتبه الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كتب له رسالةً يعترف له فيها بغزارة العلم -مع أنَّ صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنده بعض المآخذ العقدية-، لكن انظروا إلى حسن أسلوب ابن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الخطاب والمكاتبة والمناصحة؛ فقد كان لحسن أسلوبه أثر في المناصَحِ-.

كتب له رسالة يعترف له فيها بغزارة العلم ويوجهه للاستفادة من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهم الله- ويُبين له بلطف بعض ما وقع فيه من هنات ويعذره فيها ويشجعه على إظهاره للسنة ورده على أهل البدع في بلاده.

وكان مما قاله فيها: "من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق، زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فالموجب للكتاب؛ إبلاغ السلام والتحفي والإكرام شيَّد الله بك قواعد الإسلام، ونشر بك السنة والأحكام، اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخٍ صادقٍ ذي فهمٍ راسخ وطريقةٍ مستقيمة يقال له صديق.

فنفرح بذلك ونُسَر لغربة الزمان وقلة الإخوان، وكثرة أهل البدع والأغلال ثم وصل إلينا كتاب "الحِطة"، [يعني: الحِطة في ذكر الصحاح الستة]، وتحرير الأحاديث من تلك الفصول فازددنا فرحًا وحمدًا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، وكان لي ابن يتشبث بالعلم ويحب الطلب فجعل يتوق إلى

اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله، [وهو تفسيره المشهور بـ«فتح البيان في مقاصد القرآن»]، فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أنَّ الزمان يسمح بمثله وما قرُب منه... ".

هذا مسلك سلكه عن طريق المراسلة، فهذا من فوائد المكاتبات فإنه تحصل فيها النصيحة.

المسألة الثانية في نصيحة أسد بن موسى: تنبيه إلى فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن كتابته لأخيه يترتب عليها ثمراتٌ عظيمة تعود على المنصوح بتذكيره وتثبيته، فإذا وقعت النصيحة موقعها منه؛ رجع أثر قبولها على طلابه ومجتمعه، فعلت راية السنة وضعفت شوكة البدعة.

المسألة الثالثة: في قوله: "ما ذكر أهل بلادك" هذا فيه اعتبار شهادة وثناء المؤمنين العالمين بأوصاف العلماء للرجل بالخير ولذا اعتبر أسد بن موسى شهادة أهل بلد أسد بن الفرات لعالمهم بإظهاره للسنة وقمعه للبدع وأهلها وهذا المنهج هو ما قرره أهل السنة في هذا الباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن له في الأمة لسان صدق عام؛ بحيث يُثنى عليه ويُحمد في جماهير أجناس الأمة؛ فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدُجى".

المسألة الرابعة: تضمَّن قوله: "ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله".

الأثر الحسن لتقديم الناصح الثناء على المنصوح بين يدي نصيحته إذا غلب على الظن عدم ترتب محظور على المدح، وهو مظنة قبول النصيحة بإذن الله ﷿.

ومما يدل على أثر استعمال هذا الأسلوب فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقد قال له: «**نِعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل**» فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا، رواه البخاري ومسلم.

فقدم النبي ﷺ في نصحه الثناء على ابن عمر رضي الله عنهما وكان أثر ذلك مداومة قيام الليل.

وهنا يحسُن التنبيه؛ إلى أن الأحاديث التي تمنع المدح وتذمه لا تتعارض مع الأحاديث التي تفيد الإباحة، وقد جمع بينهما النووي رحمه الله بقوله: "قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على مَن يُخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما مَنْ لا يُخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه، إذا لم يكن فيه مجازفة بل إنْ كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحبًا، والله أعلم".

إذن المدح هنا فيه مصلحة وحكمه فيه هذا التفصيل.

وأما حديث: «**احثُوا في وُجوه المَدَّاحين التراب**»! فهو محمولٌ على المبالغة في المدح، والمدَّاحون هم: المكثرون من المدح المبالغون فيه، أما المدح إذا كان فيه

مصلحة معتبرة ولا مبالغة فيه؛ كما جرى من هذا الإمام الجليل فلا مانع منه كما دلت عليه السنة النبوية.

المسألة الخامسة: في قوله: "من صالح ما أعطاك الله" هذا فيه نسبة الفضل إلى الله جلَّ وعلا كما قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

وفيه تنبيه إلى أن إظهار السنة وقمع البدع وأهلها؛ من فضل الله على المنصوح، ومن النِعم التي تستوجب شكر الله عليها.

ومما يدل على عظم هذه النعمة؛ استحقاق من اتصف بها لمدح الله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ [آل عمران:١١٠].

بم نالوا هذه الخيرية؟

قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

فالله ﷻ مدح في هذه الآية هذه الأمة، وأخبر أنها خير الأمم التي أخرجها للناس، وذلك لأنهم كمَّلوا أنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بالأوامر، وكملوا غيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتضمن دعوة الخلق إلى الله ﷻ.

ولهذا كانوا: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرِك لهم، وطعنك عليهم...

الشرح

قال: "**من إنصافك الناس**" عدَّ أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ من محامد أسد بن الفرات التي يستحق عليها الشكر والثناء؛ إنصاف الناس، وتقدم أنَّ أسد بن الفرات كان قاضيًا وأميرًا، وكان متصفًا بصفة الإنصاف مع الخصوم، ولهذا أثنى عليه بهذه الصفة التي اتصف بها.

وهذه الجملة فيها عدة مسائل:

المسألة الأولى: الصدع بالحق وعيب أهل الباطل منقبة لدعاة الحق.

قال: "**مما أظهرت من السنة**" فأثنى عليه لأنه صدعَ بالسنة، فجعل أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ إظهار السنة والصدع بها وعيب أهل البدع؛ دليلًا على حسن حال أسد بن الفرات.

ولا شك أن إظهار الحق والصدع به ورد المخالفات العقدية والتحذير من أهلها؛ هذا هو الأصل ولا يُصار إلى غيره إلا في حال ترتب مفسدة أعظم.

ويدل على ذلك نصوص كثيرة منها:

قوله الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال جل وعلا: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩].

وقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٩].

فهذه الآيات فيها الأمر ببيان الحق للناس وعدم كتمانه، وفيها الصدع بالحق وعدم الالتفات للمخالفين، وعدم صرف الخشية والخوف من الخلق، فالخشية يجب أن تُصرف لله عَزَّ وَجَلَّ، وخشية الله تعالى تستلزم عدم الكتمان خوفًا من الخلق.

جاء في حديث عبادة بن الصامت –رضي الله تعالى عنه– قال: **بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمْع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا نُنازع الأمر أهله، وأن نَقُوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**. رواه البخاري ومسلم.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي وابن ماجه: أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا فكان فيما قال: «**ألا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحقٍ إذا عَلِمَه**».

وجاء عن ابن طاهر المقدسي الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه سمع الإمام أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري بهراة يقول: "عُرِضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت".

فالصدع بالحق وإشهار عيوب أهل البدع هو الأصل؛ لكنْ لابد فيه من اجتماع ثلاثة أمورٍ فيه: لابد فيه من الإخلاص والقوة والاستطاعة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن محنة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوةٍ وإخلاصٍ، فالمخلص بلا قوةٍ يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاصٍ يُخذل، فمَن قام بهما كاملًا فهو صديق، ومن ضعُف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله".

وقال الحافظ ابن عبد البر الله معلقًا على حديث عبادة بن الصامت المتقدم: "وأما قوله: «**لا نخاف في الله لومة لائم**» فقد أجمع المسلمون أن المنكر واجب تغييره على كل مَن قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه في تغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى؛ فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فيقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك وإذا أنكره بقلبه؛ فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك".

ثم قال: "والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًا ولكنها كلها مقيدة بالاستطاعة".

وهنا مسألة مهمةٌ جدًا وهي: أنه ينبغي أن يُعلم: أنَّ النهي عن المنكر عمومًا ومنه الرد على أهل البدع؛ لا يلزم منه إزالة المنكر، ففرقٌ بين إنكار المنكر وبين إزالة المنكر.

فالمنكر يجب أن يُغير بحسب المراتب التي جاءت في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فيقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم.

والنهي عن المنكر لا يلزم منه إزالة المنكرات، فالإزالة منوطة بالقدر والاستطاعة، وأن لا يترتب على ذلك منكرٌ أكبر منه.

وقد دلت على ذلك نصوصٌ كثيرةٌ، منها النصوص التي فيها أمر النبي ﷺ بإزالة بعض المنكرات التي يفتتن بها الناس.

ومن الشواهد على ذلك: ما ورد في الصحيح من حديث أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا «**أن لا يبقين في رقبة بعير؛ قلادةٌ من وَتَرٍ أو قلادةٌ إلا قُطعت**».

فدل هذا الحديث على أن الحاكم يرسل نوابًا عنه في إزالة المنكر، وليس من شرط ذلك أن يباشره هو بنفسه.

ومنه فعل النبي ﷺ، فإنه كان يزيل المنكر أحيانًا بنفسه، فقد رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، رواه مسلم، فهذا فيه إزالة المنكر باليد لأصحاب القدرة فقط.

ومنه فعل النبي ﷺ يوم الفتح عندما دخل مكة وحول البيت ستون وثلاث مئة نُصُب، فجعل يطعنها بعودٍ في يده ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد**» رواه البخاري.

فتغيير المنكر واجب باليد لأهل السلطة، ومَن وُكِل إليهم هذا الأمر، فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبالقلب.

فأهل السنة يرون وجوب إنكار المنكر باليد عند القدرة والاستطاعة، ولا يرون وجوب الإزالة بقتالٍ ونحوه، لأن هذا يترتب عليه؛ مفاسد عظيمة، فإن عجزوا عن الإنكار باليد؛ أنكروا باللسان ثم بالقلب.

وقد خالف في ذلك المعتزلة والخوارج فذهبوا إلى أنَّ النهي عن المنكر لا يحصل إلا بإزالته.

وكان من ثمار هذه المقالة السيئة؛ تحريض الناس وتأليبهم على الخروج على حكام المسلمين باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال القاضي عبدالجبار المعتزلي: "واعلم أنَ المقصود بالأمر بالمعروف؛ إيقاع المعروف، والنهي عن المنكر؛ زوال المنكر، فإذا ارتفع الغرض بالأمر السهل؛ لم يجز العدول عن الأمر الصعب" انظر: «شرح الأصول الخمسة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأجمعت الخوارج قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

وقال ابن حزم: "وذهبت جميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية؛ إلى أن سَلَّ السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك".

وهذه المقالة مقالةٌ فاسدة، مما يبطلها:

أنهم خالفوا الهدي النبوي في أول الإسلام في حال ضعف المسلمين.

فالنبي ﷺ في أول أمره ما كسَّر أصنام قريش التي كانت حول الكعبة، ولم يمح الصور التي كانت داخل الكعبة بسبب غلبة أهل الباطل.

ثم إن الشرع أمر بالإنكار باللسان عند عدم الاستطاعة على الإنكار باليد، مما يدل على عدم اشتراط الإزالة، وكذلك أمر بالإنكار القلبي عند عدم الاستطاعة على الإنكار باللسان مما يدل على عدم اشتراط الإزالة، وإلا لما أرشد الشرع إلى الإنكار باللسان أو بالقلب، إذا كان النهي عن المنكر شرطه الإزالة باليد.

قال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله– في شرح حديث أبي سعيد الخدري في «الأربعين النووية»: "قوله: «**فليغيره**» هذا اللفظ لا يساوي فليزله، فالتغيير في الشرع لا يساوي الإزالة، ويدل عليه أنه قال: فإن لم يستطع، - يعني إن لم يغير بيده، فإنه يغير بلسانه، ومعلومٌ أن تغيير المنكر باللسان قد يكون معه إزالة وقد لا يكون، وهذا من توسعة الله جل جلاله على هذه الأمة، فيجب التغيير ولكن الإزالة لا تجب إلا إذا كانت مستطاعة-.

ثم أيضًا ينبغي أن نعلم؛ أن من القواعد المقررة: اعتبار مآلات الأفعال، واحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، فإنكار المنكر المقصود منه هو إزالة المنكر أو تخفيفه، فإذا كان إنكار المنكر باليد أو باللسان يؤدي إلى منكرٍ أعظم؛ لم يجز إلا الإنكار القلبي".

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»: "أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مر وصاحب له بجماعةٍ من التتار يشربون الخمر ويسكرون، فقال له صاحبه:

لماذا لم تنههم؟ قال: هم الآن يشربون الخمر وضررهم على أنفسهم، لكن لو نهيناهم وصاروا منتبهين ذهبوا يقتلون رجال المسلمين ويأخذون أموالهم ويعتدون على أعراضهم".

فلم ينكر عليهم باليد ولا باللسان، لئلا يكون ضررهم متعديًا، وهذا هو الفقه بعينه.

*** فالصدع بالحق لابد فيه من ثلاثة أمور:**

الأمر الأول: الإخلاص.

الأمر الثاني: لا بدَّ في الصدع بالحق من مراعاة أحوال الأزمان والأماكن والأشخاص، فإذا كانت شوكة أهل الباطل أقوى وإلحاق الأذى بمَن يصدع بالحق مترجحًا؛ فلا يلزم الصدع بالحق، ولا إشهار عيب المخالف، ولهذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره يفرِّقون في باب هجر المخالف بين الأماكن التي كثُرت فيها البدع كما كثُر القدر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عُرف مقصود الشريعة؛ سُلك في حصوله أوصل الطرق إليه كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد يقتضي المقام تحريم إشهار عيب المخالف، كما لو كان المنكَرُ عليه حاكمًا مبتدعًا؛ لأنَّ الأصل في نصيحة الحاكم السرية في نصيحته.

كما دل عليه حديث عياض بن غُنم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال لهشام بن حكيم: ألم تسمع يا هشام رسول الله ﷺ إذ يقول: «مَن كانت عنده نصيحةٌ لذي سلطان فلا يكلمه بها

علانيةً، وليأخذ بيده وليخلُ به؛ فإن قَبِلها قَبِلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له» رواه أحمد في المسند وابن أبي عاصم في السنة والحاكم واللفظ له.

الأمر الثالث: لا بدَّ من الإنصاف مع المخالف.

وإنصاف أهل البدع، يكون بإنزالهم منزلتهم اللائقة بهم، ومنزلتهم التي يستحقونها هي الزجر والتحذير بحسب جُرمهم ونوع بدعتهم، فهذا هو العدل المأمور به شرعًا، وخلاف التعامل معهم في غير ما يستحقون من سكوتٍ عنهم أو إعلاءٍ لشأنهم نوع ظلم وغش للمسلمين.

قال الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه".

وقال الله جل وعلا: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى:١٥] يعني في الحكم فيما اختلفتم فيه، فهذه الآية أصلٌ في الخطاب فيها لأهل الكتاب، ومع ذلك قال الله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى:١٥] يعني في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم بين أهل

الأقوال المختلفة من أهل الكتاب وغيرهم، أن يُقبل ما معهم من الحق ويُرد ما معهم من الباطل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حِلية تحلى بها الرجل خصوصًا مَن نصَّب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥].

فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبه؛ يسير بسيره، وينزل بنزوله، يدين بدين العدل والإنصاف ويحكم الحجة وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فهو العلم الذي قد شمر إليه ومطلوبه الذي يحوم بطلبه عليه لا يثني عنانه عنه عذل عاذل، ولا تأخذه فيه لومة لائم، ولا يصده عنه قول قائل".

ويكون الإنصاف بالتثبت من كلام المخالف وصحة نسبته إليه، وعدم تعدي الصدق وعدم تحميل كلامه ما لا يحتمل، وعدم محاباة أحد لقرابة ونحوها في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا هو الإنصاف المطلوب شرعًا، أن لا تنسب إلى المخالف مقالات لم يقل بها، فتكون متشبهًا بأهل البدع الذين هم أصحاب جور وظلم مع المخالفين، ولا تتعدى الصدق في كلامك، فلا تكذب عليه، ولا تزد في كلامك، فتأتي بكلامٍ قاله المخالف وتزيد عليه ما لم يقله، ولا تُحمِّل كلامه ما لا يحتمل، ولا تحابي أحدًا في

دين الله تعالى، فترد على مبتدعٍ لأنه بعيد عنك، وتسكت عن مبتدع آخر لقرابته منك.

قال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أرباب البدع والتصانيف المضلة؛ ينبغي أن يُشهِر الناس فسادها وعيبها وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، ويُنفر عن تلك المفاسد ما أمكن بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة، فلا يقال على المبتدع إنه يشرب الخمر، ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه".

وهنا **مسألة مهمة وهي**: أنَّه لا يلزم عند نقد أهل الأهواء والبدع وأصحاب التحزبات والطوائف الضالة المضلة بأنواعها؛ سلوك منهج الموازنة بين حسناتهم وسيئاتهم بل يقتصر في باب النقد والتحذير على ذكر المساوئ دون الحسنات، لئلا يغتر الجهلة والعامة بهذا المخالف وحتى لا يعلو شأن البدع والأهواء.

وهذا المنهج منهجٌ نبوي دل عليه ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس وفيه قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأبا جهمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خطباني، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما أبو جهمٍ فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوكٌ لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**» رواه مسلم.

ففي هذا الحديث ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا مما أُخذ على معاوية وأبي جهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، مع كونهما من صحابته الكرام، ولم يذكر شيئًا من حسناتهما لأن المقام مقام نُصح،

فمقام النُصح يختلف عن مقام الترجمة للمخالف والتعريف به، فإذا ذكرت في مقام النصيحة ما له وما عليه فقد هوَّنت من المخالفة التي عنده، فإذا قلت مثلًا: فلانٌ عنده طعنٌ في بعض الصحابة رضي الله عنهم، وتقرير لعقيدة الحلول، لكنه كان ينكر المنكرات ويفعل كذا وكذا من الحسنات، فإنَّ بدعته ستهون في قلوب الجهلة.

ومما جاء عن السلف في تقرير أنه لا يلزم ذكر الحسنات في باب النقد والتحذير من أهل البدع:

قول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن أبي الدنيا: "أنبأنا أبو صالح المروزي قال: سمعت رافع بن أشرس قال: كان يُقال: (من عقوبة الكذاب أن لا يُقبل صدقه).

وأنا أقول: من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه".

وكتب أئمة الإسلام مشحونة بالرد على أهل البدع وليس فيها ذكر شيء من محاسنهم، مما يدل على أنه لا يلزم ذكر المحاسن في النقد.

وقد وجه سؤال للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- يقول فيه السائل: هل يلزمنا ذكر محاسن مَن نحذر منهم؟

فأجاب بقوله: "إذا ذكرت محاسنهم فمعناه أنت دعوت لاتباعهم، لا، لا تذكر محاسنهم أذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ليس موكولًا إليك أن تزكي وضعهم، أنت موكول إليك بيان الخطأ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه، ومن أجل أن يحذره غيرهم، والخطأ الذي هم عليه ربما يذهب بحسناتهم كلها إن كان

كفرًا أو شركًا، وربما يرجح على حسناتهم، وربما تكون حسنات في نظرك وليست حسنات عند الله تعالى".

وأما باب التعريف والترجمة هذا باب أوسع، فيُذكر ما عند المخالف من حسنات ومخالفات ويُقبل الحق الذي معه.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "عندما نريد أن نقوِّم الشخص فيجب أن نذكر المحاسن والمساوئ، لأن هذا هو الميزان العدل، وعندما نحذر من خطأ شخص فنذكر الخطأ فقط، لأن المقام مقام تحذير ومقام التحذير ليس من الحكمة فيه أن نذكر المحاسن، لأنك إذا ذكرت المحاسن فإن السامع سيبقى متذبذبًا فلكل مقام مقال".

المسألة الثانية: عيب أهل البدع يتضمن عيب البدع نفسها، فالعيب لم يتَّجه إلى المبتدعة إلا بسبب تلبسهم بالبدع، والجمع بين التحذير من البدع وأهلها؛ دلت عليه السنة النبوية الصحيحة، فإن النبي ﷺ حذر من ذي الخويصرة التميمي وأشار إليه بقوله: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا** -[يعني أناس على طريقته ومنهجه]، **قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم** [يعني لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما يُتلى عليهم]، **يَمرُقون من الدين كما يَمرُق السهم من الرمية**[يعني مثل خروج السهم من الصيد الذي يُرمى]» رواه البخاري ومسلم.

فالنبي ﷺ عاب هذا الرجل، وعاب البدعة التي هي عليه.

ومما ورد عن السلف الصالح في عيب البدع وأهلها ما جاء عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيما نقله عنه عبدالرحمن بن مهدي أنه قال: "دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، -لعله كان يسأل عن المتشابه على طريقة المعتزلة- فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عَمْرًا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام".

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق كلامه على مَن يزعم القول بخلق القرآن: "كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدأ من مخالفتهم والرد عليهم".

وقال ابن الجوزي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كان الإمام أحمد لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة وكلامه في ذلك محمول على النصيحة في الدين".

وروى اللالكائي بسنده عن عاصم الأحول قال: قال قتادة: "يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تُحذر".

وقال الحسن البصري له: "أترغبون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه يحذره الناس".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا بدَّ من التحذير من تلك البدع وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق، لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها".

فالنوايا الحسنة من المخالف لم يكن أهل السنة يلتفتون إليها، بل كانوا يقمعون البدعة، وإن حسن مقصد فاعلها.

ثم إنَّ الإنكار على أهل الأهواء من الرحمة بهم لئلا يضلوا غيرهم ومن الرحمة بالخلق عمومًا أن لا يقعوا في شراك البدع.

قال ابن الرومي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقالوا: ليس من مقتضى رحمة أهل المعاصي ترك الإنكار عليهم وعدم التعرض لهم، بل من كمال الرحمة لهم الإنكار عليهم، وردّهم إلى المنهج القويم والصراط المستقيم؛ فإنَّ المؤمن إذا سمع بأسير من أُسارى المسلمين في أرض العدوّ يرحمه ويبذل ماله ونفسه في تخليصه، فكيف لا يجتهد في تخليص أخيه المسلم وإنقاذه إذا رآه أسير نفسه وشيطانه وهما أعدى عدوِّه؟ فإنْ أعرض عنه وترك أسيرًا لهما فذلك من جهله"، «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار ومحائق البدع ومقاطع الأشرار» (ق/ ١٣٢/ أ).

وبهذا يُعلم؛ خطأ مَن يدعو بإطلاق للتحذير من البدع دون التعرض لأهلها بحُجة أن هذا العمل من الغيبة التي تولد الشحناء بين المسلمين وتفرق الأمة وتضيع أوقاتهم وتقسي قلوبهم، بل قد سمعنا من بعض الحزبيين والحركيين المعاصرين؛ مَن يطعن في الذين يُبينون السنة للناس ويحذرون من الحزبيات ويقولون: ما فَرَّق الأمة مثل هؤلاء! وينبزونهم بألقاب السوء؛ لينفِّروا الجهلة عن أهل الحقِّ.

وهذا القول فاسد، يترتب عليه مخالفة منهج النبي ﷺ وأتباعه في التحذير من المخالفة وأصحابها عند الحاجة مع ما يترتب عليه من فشو البدع وتلميع أصحابها وإضلال الناس عن المنهج الحق.

أما إذا اقتضت المصلحة عدم تسمية المخالف؛ فليقتصر على التحذير من المخالفة، فإنَّ النبي ﷺ حذَّر من ذي الخويصرة بعينه، وراعى المصلحة في عدم التسمية في مواطن وسلك منهج ما بال أقوام، فلا وجه للاقتصار على منهج واحد وطرح الآخر، فإعمال الدليلين أولى من إعمال دليل وإهمال الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الشخص المعين فيُذكر ما فيه من الشر في مواضع، ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل.

وأما دعوى أن هذا العمل من الغيبة؛ فليس بصحيح، فالتحذير من البدع وأهلها مستثنى من الغيبة، كما قال ابن أبي الشريف:

القدح ليس بغيبة في ستةٍ   متظلمٍ ومُعرفٍ ومحذر
ولمُظهرٍ فسقًا ومستفت ومن   طلب الإعانة في إزالة منكر

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفصيله لهذه المواطن: "ومنها إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق، أو مبتدعٍ يأخذ عنه علمًا وخفت عليه ضرره فعليك بنصيحته ببيان حاله قاصدًا للنصيحة.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإذا رأيت شخصًا ذا فسادٍ وغي لكنه قد سحر الناس ببيانه وكلامه يأخذ الناس منه ويظنون أنه على خير؛ فإنه يجب عليك أن تبين أن هذا الرجل لا خير فيه، وأن تثني عليه شرا؛ لأجل ألا يغتر الناس به، كم من إنسان طليق اللسان فصيح البيان إذا رأيته يعجبك جسمه وإن يقول تسمع لقوله، ولكنه لا خير فيه، فالواجب بيان حاله".

وأما دعوى أن الردود تقسي القلوب فليس بصحيح، لما يترتب على عدم الردود من تفشي الباطل وتأثر الناس به.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- جوابًا على سائل يقول: أثابكم الله، ما رأي سماحتكم فيمن يقُول إِنَّ كتَب الردود تقسي القلوب؟

فأجاب بقوله: "لا، ترك الردود هو الذي يُقسي القلوب؛ لأَنَّ النَّاسِ يعيشون على الخطأ وعلى الضلال فتقسو قُلُوبُهُم، أَمَّا إِذَا بُيِّنَ الحَقُّ وَرَدَّ الباطل فهذا مما يُلَيِّن القلوب بلا شك.

المسألة الثالثة: مَن يلحقه العيب؛ هو من تلبَّس بالبدع، وكان على أصول أهلها، أما مَن وقع في مخالفة عقدية من أهل السنة بسبب تأويل ونحوه؛ فالواجب ردُّ مخالفته وحفظ منزلته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والبدعة التي يُعد بها الرجل من أهل الأهواء؛ ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج، والروافض والقدرية والمرجئة، فإن عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة.

ومن الأمثلة الدالَّة على ذلك: أنَّ قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ اللَّهُ كان ممن نُسِب إليه القول بشيءٍ من القدر، وأن كل شيءٍ بقدر إلا المعاصي، نسبه إليه الإمام أحمد ويحيى بن معينٍ، وقيل: إنه رجع عن هذا القول كما ذهب إليه ياقوت الحموي، وقيل: إنه لم يقل بالقدر، ومع هذا كله عند مَن يرى بأنه وقع في هذا الشيء التفتوا إلى أصوله السلفية، ولم يهدروا منزلته.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة قتادة: "ومع هذا فما توقف في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل.

ثم إن الكبير من أهل العلم إذا كثُر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زَلَلَهُ، ولا نُضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك".

المسألة الرابعة: أثنى أسد بن موسى على أسد بن الفرات كثرة ذكره لأهل البدع وطعنه عليهم، جعل هذا ثناء عليه.

ولعل كلامه محمول على وجود الحاجة لذلك فما دام أن المخالفات كثيرة ودُعاتها كثُر؛ فالواجب على أهل العلم إنكارها والرد على أربابها حتى تزول، ولو فَنيت أعمارهم في إنكارها.

فها هو الإمام أحمد يقول عنه أبو زرعة الرازي: "هذه الطوائف كلها مُجمعة على بُغض أحمد بن حنبل، لأن ما منهم أحد إلا وفي قلبه منهم سهمٌ لا بُرء له".

وهذا يدل على كثرة طعنه في أهل البدع.

وقال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق رده على مَن يقول بخلق القرآن: "فكَرِه ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه، فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم ذلك".

وقال ابن حنبل: "كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بُدًا من مخالفتهم والرد عليهم".

ولما طُلب من الإمام أحمد السكوت وعدم الخوض في مسائل خلق القرآن قال: "اسكتوا نسكت".

فكثرةُ الطعن في أهل البدع والرد عليهم إذا احتيج إليه؛ منقبة لأهل السنة لا مذمَّة.

المسألة الخامسة: لا بدَّ من مراعاة المصالح والمفاسد في التعامل مع أهل البدع، فقد يقتضي المقام تأليف بعضهم وعدم إظهار العداوة لهم، لتحقيق مصلحة دعوتهم أو لاتقاء شرِّهم.

ولا يعارض هذا التأليف ما جاء في التحذير من البدع وأهلها.

يدل على ذلك حديث عائشة له أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**»، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فحاشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة مَن تركه الناس اتقاء شره**» رواه البخاري.

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: " وفيه مداراة من يتقى فحشه وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه، وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق والظلمة وأهل الفساد".

والمداراة مندوب إليها، وهي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: " المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا وهي مباحة وربما استحبت".

فقمعهم اللّه بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم، فأذلهم اللّه بذلك، وصاروا ببدعتهم مستترين.

الشرح

اشتملت هذه الجملة على بيان بعض الآثار الحسنة المترتبة على إظهار أسد بن الفرات للسنة، وطعنه في أهل البدع، وهي ما يلي:

الأمر الأول: قمع وإذلال أهل البدع، والقمعُ: هو المنع والزجر والردع، فمن ثمرات إظهار السنة والطعن في أهل البدع: زجرهم وردعهم عن باطلهم، فإذا حصل ذلك من أهل الحق: صار أهل البدع أذلاء، وسيأتي بيان ما يحصل به إذلالهم.

فالذَبُّ عن الحق ونصرته والصدع به: يترتب عليه إضعاف أهل الباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومعلومٌ أنه كلما ظهر نور النبوة: كانت البدعة المخالفة أضعف".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكلما ضعُف مَن يقوم بنور النبوة: قويت البدعة".

ثم إن البدعة معصية، ومن شؤم المعاصي أنَّ أصحابها أذلاء منقادون على الكُره، بسبب معصيتهم لله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قال سفيان بن عيينة: هذا [يعني حصول الغضب من الله عَزَّ وَجَلَّ والذلة في الحياة الدنيا] في كلِّ مبتدعٍ إلى يوم القيامة".

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كل مَن ابتدع في دين الله؛ فهو ذليلٌ حقير، بسبب بدعته، وإن ظهر لبادئ الرأي عزُّه وجبروته، فهم في أنفسهم أذلاء".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية محذرًا من الوقوع في الكبائر: "فيكون مرتكبها محادًا من كل وجه وإن كان مواليًا لله ورسوله من وجهٍ آخر، وينالُه من الذلة والكبت بقدر قسطه من المحادة، كما قال الحسن: "وإن طقطقت بهم البغال [يعني صوتت حوافرها على الأرض الصلبة]، وهملجت بهم البراذين [يعني مشت مشيةً سهلة في سرعة – والبراذين: تُطلق على غير العربي من الخيل والبغال وهي مختصَّة بحمل الأحمال الثقيلة] إنَّ ذُل المعصية لفي رقابهم، أبى الله إلا أن يُذل مَن عصاه".

فالعاصي؛ يناله من الذلة والكبت بحسب معصيته، وكل هذا الذل الذي يناله ناشئٌ عن انفصاله عن الحق وأهله، فيفضي به ذلك إلى العُزلة والانفصال عن المجتمع والتفرغ للعبادات التي يصاحبها نوع غلو، كما حصل من الخوارج.

الأمر الثاني من الآثار الحسنة: أنه تقوى به إخوانه من أهل السنة، فمن آثار العلماء المباركة؛ تشبُّه غيرهم بهم، فالعلماء ورثة الأنبياء، وقد أرشد الشرع إلى الاقتداء بالأنبياء، ولأتباعهم نصيبٌ من ذلك بقدر اتباعهم، قال الله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام:٩٠].

والناس –في الغالب– يتبع بعضهم بعضًا، فإذا رأوا قوة أخيهم في نُصرة الحق ورد الباطل؛ تشبهوا به وفعلوا فعلته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فكم ممن لم يرد خيرًا ولا شرًا ممن لم يرد خيرًا ولا شرًا حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله ! فإنَّ الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له مثل من تبعه من الاجر والوزر".

ونبَّه أسد بن موسى رَحِمَهُ اللَّهُ: إلى أنَّ الذين تقوَّوا به هم أهل السنة.

والمراد: أهل السنة؛ المحضة، وهذا المصطلح لقبٌ يُطلق على كل مَن انتسب للسنة انتسابًا صحيحًا، وكان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فيخرج منه سائر أهل الأهواء والبدع، وأهل السنة لهم ألقابٌ استعملها العلماء رحمهم الله كلها صحيحة، وهي أهل السنة، وأهل السنة والجماعةِ، والجماعةُ، وأهل الأثر أو الأثرية، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والسلف أو السلفيون أو السلفية.

الأمر الثالث من الثمار الحسنة في هذا الباب: أنَّ القوة والغلبة على أهل البدع وعلى أصحاب الرأي لا تكون إلا بإظهار عيبهم والطعن فيهم، وفق الأسلوب المناسب لحالهم.

ففي قوله: " وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم" تنبيهٌ إلى أنه بفعله ذلك أصبح قويًا متغلبًا على مخالفيه، فلا وجه لالتفات الدعاة إلى الله ﷻ إلى أقوال المثبطين والمُخذِّلين والمخوفين لهم بدون مسوغٍ معتبر، فإنَّ الرسل وأتباعهم أهل

الغلبة بالحُجة واللسان، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾، وهي قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾، -أي حزب الله- يقصد الرسل وأتباعهم، لهم الغلبة بالحُجة والنُصرة في العاقبة.

ومما يدل على قوة أهل السنة ورباطة جأشهم وعدم التفاتهم إلى مَن يُخذِّلُهم، ثم عود أثر ذلك إلى تغلبهم على عدوهم؛ ما جرى للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتنة القول بخلق القرآن.

قال صالح ابن الإمام أحمد: "ثم أمتحن القوم جميعًا غير أربعة، قال: أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمرو القواريري، والحسن بن حماد سجادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس فمكثا أيامًا في الحبس، ثم ورد الكتاب من طرطوس بحملهما مقيدين زميلين – يعني مردفين على الدابة- فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال: يا أبا عبد الله، إن عرضت على السيف تجيب؟

قال: لا. ولما رحلنا من الرحبة [وهي رحبة الطوق بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات]، عرض لنا رجل في جوف الليل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا. فقال للجمال على رسلك! ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تُقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا، ثم قال: أستودعك الله تعالى ومضى.

فسُئل عنه فقيل: هو رجل من ربيعة، يقال له جابر بن عامر يُذكر بخير.

وقال أحمد: ما سمعت كلمة منذ وقعت في الأمر الذى وقعت فيه؛ أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مُتَّ شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، قال: فقوى قلبي".

قال ابن أبي حاتم: "فكان كما قال، لقد رفع الله شأن أحمد بن حنبل بعدما امتُحن، وعظم عند الناس، وارتفع أمره جدًا.

ثم آل الأمر إلى إذلال رأس الفتنة في القول بخلق القرآن وارتفاع شأن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ".

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما حكى مناظرة الإمام أحمد مع ابن أبي دؤاد بحضرة الواثق: "ثم أمر برفع قيوده، وأن يُعطى أربع مئة دينار، ويؤذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعدها أحدًا".

الأثر الرابع من الآثار الحسنة: استتار أهل البدع ببدعهم، فمن ثمرات الصدع بالحق والرد على أهل الأهواء والبدع استتار المبتدعة ببدعهم خوفًا من أهل الحق أن تنالهم سهام نقدهم فيسقطون من أعين الناس، أو تكون الولاية لأهل السنة فيخشون من تأديبهم إياهم.

ومما يدل على استتار أصحاب المخالفات العقدية بمخالفاتهم حال قوة أهل الحق؛ صنيع المنافقين في زمن النبي ﷺ فإنهم كانوا مستترين بنفاقهم ولا يعلم بهم إلا رسول الله ﷺ وحذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد روى زيد بن وهب، قال: "مات رجل من المنافقين فلم يُصلِّ عليه حذيفة، فقال له عمر: أمِنَ القوم هو؟ قال: نعم، فقال له عمر: بالله منهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحدًا بعدك" رواه بن أبي شيبة.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: "مَن استتر عنا ببدعته لم تخف ألفته".

فهذا يدل على أن من أهل البدع مَن يستر بدعته عن أهل السنة فيُفضح بأخدانه ومجالسيه.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئًا لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعهم ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم".

ثم ينبغي أن نتفطن إلى أمرٍ مهم وهو: أنه مع استتار أهل البدع ببدعهم؛ إلا أنه لا يؤمن مكرهم، فهم يتحينون الفرص للنيل من أهل السنة والتلبيس على جهلتهم.

قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: "مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب ويُخرجون أذنابهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس؛ فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون".

وإليكم ثلاثة مسالك من واقعنا المعاصر، سلكتها بعض الجماعات الحزبية والطوائف المنحرفة عن مذهب السلف، حال استتارها ببدعها، فإنهم إذا ضيق السلطان عليهم يستترون، وقد اعتمدوا في ذلك على بعض أصول الخوارج القدماء، فمع استتار أهل البدع؛ إلا أنه لا يؤمن مكرهم.

المسلك الأول: عقدهم حال استتارهم ببدعهم للمجالس السرية التي يخططون فيها لتنفيذ بدعهم وأفكارهم المنحرفة.

فالفرقة الأولى من الخوارج وهم المُحكمة؛ أول مَن عُرف من الخوارج بعقد المجالس السرية، للتشاور في تنفيذ بدعهم، فإنهم اجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحرضهم على قتال علي رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما ينبغي لقومٍ يؤمنون بالرحمن ويُنسبون إلى حكم الرحمن أن تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق.

فهم يسلكون مسلك الوعظ ليعظوا الجُهَّال ويذكرونهم بالآخرة ليحرضوهم على قتال السلطان.

ومن وجوه موافقة بعض خوارج العصر لهم على هذا الأصل؛ قول أيمن الظواهري: "إن بعض تلاميذ سيد -يعني سيد قطب- ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره؛ قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري".

ومن ذلك ما قام به شكري أحمد مصطفى، وهو من أبرز شخصيات جماعة التكفير والهجرة، فعند خروجه من السجن بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، وتمت مبايعته أميرًا للمؤمنين وقائدًا لجماعة المسلمين على حد زعمهم، فعيَّن أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والاسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي.

المسلك الثاني: اعتزالهم المجتمعات حال استتارهم ببدعهم.

فالحرورية سموا بذلك نسبةً إلى حروراء وهي قرية بظاهر الكوفة، قيل على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانشقوا عن جيشه، وفارقوا جماعة المسلمين واعتزلوهم وكان ابتداء خروجهم منها.

ومن وجوه موافقة بعض خوارج العصر لهم على هذا الأصل: أنَّ الهجرة التي هي العنصر الثاني في فكر جماعة التكفير والهجرة؛ يُقصد بها العُزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية.

والعُزلة المعنية عندهم: عُزلة مكانية وعُزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقة بزعمهم، كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام في الفترة المكية.

وقالوا يجب على المسلمين في هذه المرحلة من عهد الاستضعاف الإسلامي؛ أن يمارسوا المفاصلة الشعورية لتقوية ولائهم للإسلام.

والعُزلة الشعورية: أن يخالط المبتدع الناس وذهنه منفصل عنهم، فيرون أن هذا العمل يحصل به تقوية الإسلام من خلال جماعة المسلمين، التكفير والهجرة، وفي الوقت ذاته؛ عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى تُكتسب القوة الكافية.

ومن ذلك ما قام به شكري أحمد مصطفى وهو من أبرز شخصيات جماعة التكفير والهجرة، فقد هيأ لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع، إذ أصبح العضو يعتمد على

الجماعة في كل احتياجاته، ومَن ينحرف من الأعضاء يتعرض لعقاب بدني وإذا ترك العضو الجماعة اعتُبر عندهم كافرًا، حيث اعتبر المجتمع خارج الجماعة كله كافرًا، ومن ثَم يتم تعقبُّه وتصفيته جسديًا.

ومن ذلك قول جماعة التكفير والهجرة: بترك صلاة الجمعة والجماعة في المساجد، لأن المساجد كلها مساجد ضرار عند القوم، وهم يرون أن أئمة المساجد كفار إلا أربعة، المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضًا إلا إذا كان الإمام منهم.

فإذا رأيت شابًا ظاهره التنسُّكُ لا يعاني من اعتلالات نفسية أو أمراض ظاهرة قد اعتزل المجتمع واعتزل الجمعة والجماعة واعتزل أقاربه وانطوى في بيته؛ فهذه أمارة سوء وقرينةٌ على سلوكه مسلك الاستتار ببدعته.

المسلك الثالث: موافقتهم بعض الخوارج في القول بالتقية.

فإذا ضُيق على أهل البدع استتروا ببدعهم وسلكوا مسلك التقية وهم بهذا موافقون لبعض الخوارج في القول بالتقية، فالتقية عند النجدات جائزةٌ في القول والعمل كله وإن كان في قتل النفوس، والصُفرية من الخوارج قالوا: التقية جائزةٌ في القول دون العمل.

ومن وجوه موافقة بعض خوارج العصر لهم على هذا الأصل: أن الإخوان المسلمين يسيرون وفق القاعدة المستعملة استعمالًا سيئًا عند الماسونية الميكيافيلية وهي قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، فكل وسيلةٍ عندهم يتوصل بها إلى

تحقيق غاياتهم وأجندتهم؛ فإنه يصار إليها عندهم، ومن ذلك استخدام التقية والكذب لتحقيق ما يريدون.

يقول القيادي الإخواني محمود عبدالحليم: " إنَّ إخواننا قد استباحوا القاعدة الميكيافيلية التي تقول إن الغاية تبرر الوسيلة.

فأمام ما اعتقدوه أنهم على الحق وأن طريقهم هو الطريق الأمثل لمصلحة الدعوة، وعلى أساس أن التيار لهم صار من القوة بحيث لا يستطيعون التصدي له بالأساليب المشروعة؛ لجئوا إلى أسلوبٍ وإن كان غير كريم؛ إلا أنه يضمن لهم تحقيق ما يريدون".

والواقع المعاصر يُثبت استخدامهم للتقية، وما تنظيماتهم السرية التي يخططون فيها لقلب أنظمة الحكم وتحالفاتهم السرية مع الكفرة وأهل البدع وحماة المبتدعة؛ إلا نوعٌ من أنواع الشواهد على استخدامهم الكذب والغدر للوصول إلى أغراضهم الرديئة.

وفي الرد على جماعة الإخوان المسلمين في هذه المخالفة، قال الشيخ أحمد بن يحي النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: " استعمالهم للتقية في أخبارهم وأقوالهم، وهذه أمورٌ سبرناها فيهم وعرفناها منهم، والله يسألني قبل كل أحد عن كل حرفٍ أكتبه عنهم، والله الذي لا إله إلا الله ما كتبت عنهم شيئًا إلى بعد أن سبرته فيهم وعرفته منهم" «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال»، (ص:١٦٤).

وحركة الإخوان المسلمين؛ عُرف أصحابها بالغدر والخيانة، والوقوف بكل سبيلٍ ممكنة مع أهل الباطل بأصنافهم ضد أهل السنة، وعند تأسيسها؛ كانت تتلقى معونات مالية من الشيوعيين واليهود، كما ذكر ذلك الشيخ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته الموجهة للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم طُبعت بعد ذلك بعنوان: «تقريرٌ عن شئون التعليم والقضاء»، حيث قال: "حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوةٍ إجرامية هدَّامة يُنفق عليها الشيوعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين".

فاحذروا مكر أهل البدع، وبخاصةٍ خوارج العصر، فالناظر في حالهم يلحظ أنهم سلكوا مسلك الكتمان في الظاهر دون الواقع، فلا تغتروا بتوقفهم عن الترويج الصريح لأطروحاتهم الثورية التي كانوا يجاهرون بها، ولا ينبغي وصفهم بالخلايا النائمة، فإن أهل البدع لا ينامون، بل يعملون في الخفاء ويسلكون طرائق ينتهجونها حال ضعفهم لتحقيق مآربهم، منها:

حرصهم على المحافظة على جماهيريتهم التي بنوها إبان تمكنهم في بعض الأزمنة عبر ترويج أفراخهم لرموز الحركيين أو ممَن لا يُعرف له طعنٌ فيهم عبر وسائل التواصل وبرامجها، فالمشاهد فيها؛ كثرةُ نشر مواعظ القوم ومداخلاتهم وكلامهم في المناسبات والاحتفالات المنشور في وسائل التواصل، والترويج لدوراتهم التي يشاركون فيها ليربطوا الناس بهم وليوهموا مَن لا يعرف حقيقتهم أنهم بعيدون عن كل منهجٍ منحرف.

ومن طرائقهم: إظهار الولاء لولاء الأمر والمحبة للعلماء، وقد قيل: الدعاوى إذا لم تقم عليها بيناتٌ أصحابها أدعياء، فإذا كانوا صادقين في دعواهم فليصدعوا بمذهب السلف في باب السمع والطاعة، وليسيروا وفق المنهج الذي عليه العلماء المعتبرون في هذا الباب، وليحذِّروا صراحةً من خوارج العصر، وليتبرأوا من طرائقهم، لا أنْ يتكلَّفوا في الاعتذار لرموز الحركيين والحزبيين، وفي ادِّعاء رجوعهم عما وقعوا فيه من زلات.

ومن مسالكهم: عدم توجيه صغار الطلبة لمجالس العلم التي يُدرِّسُ فيها مَن عُرف بحُسن معتقده وسلامة توجهه، خوفًا على الناشئة من التأثر بكلام أهل الحق في أرباب الأفكار المنحرفة، بل منهم مَن يُزهِّد في العلم ويتخذ مع الشباب طريقةً فيها نوع مكرٍ بهم ويظهر ذلك في قالب النصيحة، وهو توجيه حديثي العهد بالاستقامة إلى العناية بحفظ القرآن الكريم، وترك مجالس العلم مدَّة من الزمن بزعمهم لضبط الحفظ، ثم يستغلون هذه الفترة التي قد يطول أمدها لتلقينه الأفكار المخالفة لمذهب السلف، فلا تنتهي مدة حفظه للقرآن إلا وقد أُشرِب مذهب الخوارج.

وهذا المسلك يُذكِّرني بأثرٍ عظيم رواه الحافظ أبو خيثمة النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤هـ) في كتابه «العلم» بسنده إلى أيوب، قال: قال رجل لمُطَرِّف بن عبدالله بن الشخير: أفضل من القرآن تريدون؟ قال: لا، ولكن نريد مَن هو أعلم بالقرآن منا.

فهذا القائل رأى انشغال مُطرِّف بن عبدالله بتدريس العلوم الشرعية وأراد أن يوجهه إلى العناية بالقرآن، فسأله: هل تريدون أفضل من الارتباط بكلام الله؟

فأفاده مطرف أنَّ القرآن لا أفضل منه، ولكن تدريس كتب العلم مما يستعان به على فهم القرآن، فهذا دليلٌ على فقهه ولزومه الطريقة النبوية، فإن نبينا ﷺ كان يجمع في تعليمه بين بيان الألفاظ والمعاني كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وهو شاملٌ لبيان الألفاظ والمعاني المستشكلة وللبيان العام الذي تدخل فيه السنة بأنواعها الثلاثة.

فالمنهج الصحيح أن يوجَّه الناشئة إلى الجمع بين حفظ القرآن وتعلُّمِ العلم العيني الذي لا يستقيم دين المرء إلا به، لا أن يُفصل عن العلم وأهله فتتخطفه الشبهات التي قعدتْ للناس في طريقهم وبخاصَّة في زماننا المعاصر.

ومن مسالك خوارج العصر في استتارهم ببدعهم: حثُّ الناس على وجوب حفظ اللسان، وعدم الوقيعة في أعراض المسلمين، وحفظ مقام أهل العلم، وصنيعهم هذا من جملة الحق الذي يراد به الباطل.

فمقصودهم منه: عدم الالتفات إلى كلام الناصحين في دعاة الفتن والثورات، ونسبة الناصحين إلى الغيبة والحسد والجور والظلم ومساوئ الأخلاق، فاحذروا طرائق أهل الانحراف الفكري، فإن أهل البدع مثلهم مثل العقارب يدفنون

رؤوسهم وأبدانهم في التراب ويُخرجون أذنابهم فإذا تمكنوا لدغوا، كفى الله البلاد والعباد شر البدع وأهلها.

"فأبشر؛ أي أخي بثواب ذلك".

الشرح

في هذه الجملة: " فأبشر أي أخي بثواب ذلك": بشارةٌ بالفضل والأجر العظيم الذي يترتب على الطعن في أهل البدع والأهواء، وفيها تشجيع لأخيه على المضي في صالح عمله والثبات عليه، وصنيعه هذا من الدلائل على صدقه وصفاء قلبه وحبه الخير لأخيه.

ثم إنَّ بشارة المؤمن لأخيه بما يسرُّه؛ من أحب الأعمال إلى الله جل وعلا إذ إنَّ فيها إدخالًا للسرور على المسلم، وقد جاء في حديث ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ قال: «**أنفعهم للناس**»، قلتُ: فأي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**سرورٌ تدخله على مسلم**» رواه الطبراني.

ومن أدلة بشارة المؤمن من إخوانه بما يسره؛ قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه رضي الله عنهما، فقد تسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى بشارته بتوبة الله عليهم عند نزول آية توبتهم، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: "فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبل صاحبي مبشرون وركب إلي رجلٌ فرسًا وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ".

والبشارة بثواب الأعمال لها أصلٌ شرعي، فقد بشَّر جبريل عليه السلام نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ببشارة ليُبشر بها أصحابه حتى يثبتوا على التوحيد الذي خُلقوا من أجله.

يدل على ذلك حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**» قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: «**وإن سرق وإن زنى**» رواه البخاري.

واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد.

الشرح

في هذه الجملة بيان أن إقامة كلام الله وإحياء سنة رسوله ﷺ ونشرها بين الناس والدفاع عنها؛ أفضل من الانشغال بالعبادات القاصرة من الصلاة والصيام والحج والجهاد مع عِظم هذه الأعمال، والمقصود بذلك: النافلة، فالفريضة لا يعادلها شيء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم؛ أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن".

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من الصيام، وقد نصَّ الأئمة الأربعة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به، فيكون العلم أفضل من الصيام بطريق الأولى".

وما ذكره أسد بن موسى رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه تنبيهٌ إلى تفضيل الأعمال المتعدية على الأعمال القاصرة.

ووجه ذلك: أن الرد على أهل البدع من النفع المتعدي، ففي أداء هذا الواجب نفعٌ للمبتدع ونفعٌ لمَن قد يغتر بالمبتدع.

ومن الآثار الدالة على أن القيام بالرد على المخالف من النفع المتعدي:

ما جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سُئل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: " إذا قام وصلى واعتكف؛ فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع؛ فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل".

وإذا حصل الخلل في هذا الباب وتساهل أهل العلم في عدم الرد على أهل البدع بلا مسوِّغٍ معتبرٍ شرعًا؛ فإن البدع ستنتشر، وإذا انتشرت البدع فسدت القلوب، وإذا فسدت القلوب تسلَّط أعداء الملة على أمة الإسلام، وحصل من الشر والبلاء على المسلمين ما الله به عليم.

وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَن أحيا شيئًا من سنتي؛ كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وضم بين أصبعيه.

الشرح

المقصود: أنه لا مقارنة بين القيام بالأعمال التعبدية القاصرة، وبين القيام بالعمل المتعدي نفعه، ومنه إحياء السنن والرد على أهل البدع، فالعمل المتعدي أفضل، بل قد يكون واجبًا في حق مَنْ تعيَّن عليه الرد، وهذا الحديث الذي ذكره لم أقف عليه بهذا اللفظ في شيءٍ من كتب السنة، وقد وردت أحاديث صحيحة في الدلالة على فضل إحياء السنن، منها: حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المُزني قال: حدثني أبي عن جدي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن أحيا سُنة من سنتي فعمل بها عن الناس؛ كان له مثل أجر مَن عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومَن ابتدع بدعة فعمل بها؛ كان عليه أوزار مَن عمل بها لا ينقص من أوزار مَن عمل بها شيئًا**».

قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله معلقًا على هذا الحديث: "حديث هذا الباب أبلغ شيءٍ في فضائل تعليم العلم اليوم والدعاء إليه وإلى جميع سبل البر والخير، لأن الميت منها كثيرٌ جدًا".

ومثل هذا الحديث في المعنى، قوله ﷺ: «**ينقطع عمل المرء بعده إلا من ثلاث: علمٍ علَّمه فعُمِل به بعده، وصدقة موقوفة يجري عليه أجرها، وولدٍ صالحٍ**

يدعو له» وهذا الحديث أيضًا رواه الإمام مسلم بلفظ: «**إذا مات الإنسان انقطع عن عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**».

ثم قال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد جمعنا -والحمد لله- من فضائل العلم وأهله في صدر كتاب «جامع بيان العلم وفضله» وما ينبغي في روايته وحمله؛ ما فيه شفاء واستغناء والحمد لله وعلى قدر فضل معلم الخير وأجره يكون وزر من علم الشر ودعا إلى الضلال لأنه يكون عليه وزر مَن تعلمه منه ودعا إليه وعمل به، عصمنا الله برحمته".

أيما داع دعا إلى هذا فاتُبع عليه؛ كان له مثل أجر مَن تبعه إلى يوم القيامة "، فمَن يدرك أجر هذا بشيء من عمله!

الشرح

لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ لكن ورد ما يدل على معناه من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: «**مَن سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر مَن عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر مَن عمِل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**».

فمن أحيا سنة وأظهرها وأبرزها مما قد تخفى على الناس فدعى إليها وأظهرها، فقد حصَّل خيرًا عظيمًا، فجميع حسنات مَن دعاهم إلى الهدى فاستجابوا له فله مثل أجور جميعهم؛ لأنه هو الذي سن لهم السنن الحسنة، وهذا الأجر لا يمكن أن يناله بعمله المجرد، لولا فضل الله عليه بدلالته الناس على الهدى واستجابتهم له.

وذُكر أيضًا: "أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًا لله يذب عنها، وينطق بعلاماتها".

الشرح

روي هذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفي سنده عبدالغفار المديني، قال عنه الذهبي: "لا يُعرف وكأنه أبو مريم فإن خبره موضوع".

ويغني عنه النصوص العامة الواردة في حفظ الله تعالى وحيه من كيد الكائدين.

والحفظُ يكون عن طريق أوليائه الذين يذبُّون عن حياض الشريعة أنْ يُنال موردها، ومما جاء في ذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]: "أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله صلى الله عليه وسلم، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له مَن يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم".

وجاء في حديث ثوبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه مسلم.

والظهور يكون بالغلبة على أهل الباطل بالحجة والبيان دائمًا.

وقد ورد عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: "والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه".

يعني: تُرد على الشيطان؛ لأنه هو الداعي الأول إلى كلِّ شرٍّ.

ويُستفَادُ من هذا الأثر: أنَّ العالم إذا عُرضت عليه المخالفة العقدية، وتعيَّن عليه الرد؛ وجب أن يرد المخالفة، وإلا كان فعلُه من كتمان العلم، ومن الغش للناس.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- في: "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة" جوابًا عن السؤال الخامس والأربعين الذي يقول فيه السائل: هل يجب على العلماء أن يبينوا للشباب وللعامة خطر التحزب والتفرق والجماعات؟

فأجاب بقوله: "نعم، يجب بيان خطر التحزب وخطر الانقسام والتفرق ليكون الناس على بصيرة، لأنه حتى العوام ينخدعون، كم من العوام الآن انخدعوا ببعض الجماعات يظنون أنها على حق، فلابد أن نبين للناس المتعلمين والعوام خطر الأحزاب والفرق، لأنهم إذا سكتوا قال الناس: العلماء كانوا عارفين عن هذا وساكتين عليه، فيدخل الضلال من هذا الباب، فلا بدَّ من البيان عندما تحدث مثل

هذه الأمور، والخطر على العوام أكثر من الخطر على المتعلمين، لأن العوام مع سكوت العلماء يظنون أن هذا هو الصحيح، وهذا هو الحق".

ثم إنَّ مصنفات أهل السنة في الذب عن السنة والرد على أهل البدع لا تُحصى كثرة وهي من الشواهد على حفظ هذا الدين من كلِّ بدعة يُكاد بها الإسلام.

فاغتنم يا أخي هذا الفضل، وكن من أهله؛ فإن النبي ﷺ قال لمعاذٍ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه وقال: «لأن يهدي اللّه بك رجلًا؛ خيرٌ لك من كذا وكذا»، وأعظم القول فيه.

الشرح

المراد: اغتنم الفضل الوارد في الدعوة إلى الله تعالى، وفي هداية الخلق والفضل الوارد في نصرة السنة وقمع البدع، وكن من أهل هذه الأعمال حتى تنال الفضل الوارد فيها.

وهذه الرواية التي ذكرها لم أقف عليها من حديث بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن لكن ورد معناها من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**» فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**»، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم**» رواه البخاري ومسلم.

فهذا الحديث يدل على بيان فضل العلم وعلى شرف الدعوة إلى الله ﷻ وعلى عِظم فضل هداية الخلق ودليلٌ على سن السنن الحسنة وأن هذا خيرٌ من حُمر النعم.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وحُمر النعم: هي الإبل الحُمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرةٌ من الآخرة الباقية خيرٌ من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت".

فاغتنم ذلك وادعُ إلى السنة حتى يكون لك في ذلك إلفة وجماعة، يقومون مقامك إن حدثَ بك حدث، فيكونون أئمةً بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء الأثر.

الشرح

لما ذكر أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا من النصوص الواردة في فضل تعليم الناس ودعوتهم إلى السنة وتحذيرهم من البدع؛ حثَّ أخاه أسد بن الفرات رَحِمَهُ ٱللَّهُ على اغتنام هذا الفضل قبل حلول العوارض أو الصوارف عن نيله من موتٍ أو مرضٍ أو حبسٍ أو غير ذلك مما يصدُّ عن القيام بهذه الوظيفة العظيمة، ويكون ذلك بالحرص على التعليم حتى يكون له أتباعٌ وطلاب ينقلون عنه العلم، وقد يبارك الله فيهم فيكونون أئمة بعد شيخهم ويناله أجر تعليمهم بعد موته.

ومما يُضرب به المثل في هذا الباب في كثرة التعليم والتصنيف والدعوة إلى الله وفي كثرة الطلاب الذين استفادوا منه ونقلوا العلم عنه وكان لهم شأنٌ عظيمٌ في الأمة؛ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد بلغت مصنفاته قرابة ثلاث مائة وثلاثين مؤلفًا، وذكر ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب" أنَّ مؤلفاته: تقرُب من خمس مائة مجلد.

وقد انتفع بعلمه ونقله عنه أئمةٌ جهابذة، فمن أشهر تلامذته ابن عبدالهادي وابن القيم، والذهبي، وابن مفلح الحنبلي، وابن كثير، والبزار، وسليمان الصرصري، وعمر بن مظفر بن الوردي، وغيرهم كثيرٌ -رحمهم الله جميعًا-، فهذا العمل الصالح هو الذي ينتفع به العبد بعد موته.

كما ورد ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**» رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: "وفيه: بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع".

فعلى المعلم والمربي والموجه والداعية إلى الله ﷻ؛ أن يعتني بطلابه صغارًا وكبارًا، وللعناية بهم عدة صور، منها:

أولًا: أن لا يبخل عليهم بعلمه.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء:٣٦-٣٧].

قال: قد تأولت في البخل بالمال والمنع والبخل بالعلم وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علمٍ ومالٍ وغير ذلك.

وقال ابن المبارك رحمه الله: "مَن بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه؛ [لأنه لم يورِّثه لغيره فإذا مات مات علمه معه] أو ينساه؛ [لأن الذي يكتم العلم ولا يعمل به؛ سينسى العلم، والعمل يدخل فيه الدعوة إلى الله جل وعلا، هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل] أو يتبع السلطان [فلا يكون همٌّ له إلا الانشغال بالدنيا].

ثانيًا: أن لا يحتقر المعلِّمُ أحدًا منهم.

فالطلاب اليوم صغار وغدًا هم المعلمون والمربون والموجهون فلا يظهر لهم الازدراء والاحتقار حتى لا ينفروا عنه، وربما يزدريهم فيتركوه ويذهبوا إلى أهل البدع فيخرجونهم عن السنَّة، فيكون سببًا في إضلالهم بسبب احتقارهم وازدراءهم وعدم العناية بهم.

ثالثًا: أن لا يفعل ما ينفِّرهم عنه.

فعلى المعلِّم أن يتأسى بالأخلاق الحميدة الطيبة، فإنها مدعاةٌ للقبول، وبخاصةٍ في هذه الأزمان التي قد زهد فيها كثير من الناس عن العلم، وعليه أنْ يسعى في فعل ما يكسب به قلوب الطلبة، دعوةً إلى الله لا إلى نفسه حتى يقبلوا على العلم، وبعضهم قد يسمع أو يقرأ في تراجم وسير بعض العلماء أنهم كانوا يشترطون على مَن يحضر حلق العلم أن يكون حافظًا لكتاب الله تعالى، ويريد تطبيقه في زماننا المعاصر الذي زهد فيه كثيرون عن العلم بسبب كثرة الصوارف عنه، فلو اشترط المعلِّمُ لحضور درسه هذا الشرط في الطلبة فيُخشى أن يكون هذا من تنفيرهم وصدِّهم عن العلم، فاشتراط الشروط التي ربما كانت مناسبة في وقتٍ من الأوقات بحجة التأسي بأهل العلم السابقين، قد يكون تطبيقها سببًا في تنفير الطلبة عنه.

وكم للطلاب من أثر في شيخهم إن اعتنى بهم وحفظوا له قدره وبارك الله فيهم، فَهُمْ مَنْ ينقل علمه أو يهمله.

ومن الشواهد على ذلك، ما قيل: إنَّ الليث بن سعد الحافظ الفقيه المجتهد، شيخ الديار المصرية في الفقه والحديث، أجمع العلماء على جلالته وإمامته وعلو مرتبته في الفقه والحديث، بل قيل: إنه أفقه من الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ ومع ذلك فتراث مالك أشهر؛ لأنَّ طلابه اعتنوا بنقله، خلافًا لطلاب الليث.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: " الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به".

وقال يحيى بن بكير: " الليث أفقه من مالك، ولكن كانت الحظوة لمالك".

وهناك مذاهب فقهيةٌ اندثرت، كمذهب سفيان الثوري، والأوزاعي والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، وابن جرير الطبري وغيرها، ومن أسباب اندثارها: عدم تدوين أربابها للعلم، وعدم من يقوم بنشر علمهم في زمانهم.

فالذين نشروا علم مالك في الآفاق، وسيَّروه في مشارق الأرض ومغاربها هم أصحابه، وكذلك أصحاب الإمام أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن رجب، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبعض العلماء الذين جاؤوا بعدهم، فالذين اعتنوا بنشر علمهم هم تلامذتهم، وكل هذا من فضل الله عليهم، ثم من ثمرات نشرهم للعلم الشرعي، وقمعهم للبدع، وعناية تلامذتهم بهم، وأساس ذلك: حسن النية، والإخلاص.

"فاعمل على بصيرة ونية وحِسبة؛ فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفًا من نبيك ﷺ؛ فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه".

الشرح

في هذه الجملة تنبيهٌ إلى ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: وجوب مراعاة أمرين في الدعوة إلى الله ﷻ وعند الرد على أهل البدع.

الأمر الأول: أن يكون ذلك بعلمٍ وبصيرة، فلابد للداعية إلى الله تعالى أن يدعو بعلمٍ شرعي، مستندٍ إلى الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وعلى بصيرةٍ بأحوال المدعوين، فيعرف شبههم ويعرف ما عندهم من مآخذ على سبيل التفصيل، وأيضًا يعرف الطريقة المناسبة لدعوتهم، وقد دل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨] فدل على ذلك تنكير كلمة بصيرة في الآية، فتنكيرها يدل على شمول الأمرين.

فمعنى الدعوة إلى الله جل وعلا على بصيرة؛ أن يكون الداعية إلى الله عالمًا بما يدعو إليه، وعالمًا بحال المدعوين، وإيصال ما يصلح لهم وينفعهم، وعالمًا أيضًا بطريقة الدعوة إلى الله ﷻ، مؤصلًا كل ذلك بالنصوص الشرعية وما عليه سلف الأمة رضوان الله تعالى عليهم مع الأخذ بالأساليب والوسائل الشرعية وترك الوسائل المنهي عنها.

فالردود العلمية لها أهلها، وليس من حق كل أحد أن يتقحم ميدانها وإلا أضرَّ بنفسه وأفسد أكثر مما يُصلح، فالذي يعرف أقاويل أهل البدع على سبيل التفصيل هم العلماء الذين معهم آلة الرد على كل مُبطل، وعمدتهم في إبطال الأقاويل المخالفة؛ القرآن الكريم والسنة النبوية وفق فهم السلف.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفةً تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفةً تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وبذلك برز الصحابة على جميع مَن أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول ﷺ فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام ومن الشرك إلى التوحيد، فعرفوا مقدار ما نالوه ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يُظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فاللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما".

فعلى المرء أنْ يعرف قدر نفسه، فإنْ لم تكن عنده أهليةٌ للردود العلمية فعليه الاقتصار على نشر ردود العلماء المعتبرين على الطوائف والفرق وأصحاب المخالفات العقدية، ويكفيه ذلك، فإنْ تقحَّمَ ما لا يحسِنُ كان صنيعه من الافتيات على أهل الشأن.

الأمر الثاني: حُسن القصد والإخلاص واحتساب الأجر من الله جل وعلا عند القيام بواجب النصيحة والرد على المخالف، فأي عمل إن لم يكن خالصًا لوجه الله صوابًا على سنة رسول الله ﷺ فهو عملٌ مردودٌ على صاحبه، فالنية هي ركن العمل وأساسه.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» رواه البخاري ومسلم.

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد**» رواه البخاري ومسلم.

فمَن راعى هذين الأمرين في دعوته إلى الله عز وجل ونصيحته لعباد الله وردِّه على المخالف؛ سلِم من شائبة الرياء وإرادة العلو في الأرض وقصد تكثير الأتباع ونجا من الطرق المبتدعة في دعوته وسلِم من التعدي على المخالف ببغيٍ أو حسدٍ أو عدم إنصافٍ أو ظلمٍ وكانت دعوته أرجى للقبول وكان من أتباع الرسل حقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علمًا وعملًا ودعوة إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسول حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها".

وأهل السنة؛ أهل رحمةٍ بالخلق، يدعون إلى الله ﷻ ولا يدعون إلى أنفسهم، فيسلكون الأساليب الحسنة في دعوة المخالف طمعًا في هدايته، فمن ثمرات الرد على المبتدع بعلمٍ وبصيرة وحسن نية؛ قبوله للنصيحة إنْ أراد الله ﷻ هدايته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها، ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٨].

ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون لهم الشر".

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "لا شك أن في إخلاص الداعية تأثيرًا على المدعو؛ فإذا كان الداعية مخلصًا في نيته وكان يدعو على المنهج الصحيح وعلى بصيرة وعلم فيما يدعو إليه، فإن هذا يكون له تأثيرٌ على المدعو، أما إذا لم يكن مخلصًا في دعوته وإنما يدعو إلى نفسه، أو يدعو إلى حزبية، أو إلى جماعة منحرفة، أو إلى عصبية حتى ولو كان يتسمى بالإسلام؛ فإن هذا لا ينفع بشيء، وليس من الدعوة للإسلام بشيء".

المسألة الثانية: في هذه الجملة: وصف أسد بن موسى المبتدع الذي ينبغي أن يُدعى ببصيرة وحسن نية؛ بثلاثة أوصاف منطبقةً على عامة أهل البدع، وهي ما يلي:

- **الصفة الأولى**: أنَّ المبتدعَ مفتونٌ ببدعته، والمعنى: أنه مُعجب بها، فيرى أنَّ عنده شيئًا ليس عند غيره، وهذا بلاء عظيم، فالإعجاب بالنفس والافتتان بالبدع يجر إلى ترك العمل بالنصوص الشرعية، وإلى التعالي وعدم الالتفات إلى أفهام السلف للنصوص، وإلى الوقوع في البدع التي توقع في الاستخفاف بالعلماء، وبأفهام السلف، وإلى الاستخفاف بولاة الأمور، كما هو صنيع الخوارج، فإنهم معجبون بأنفسهم، فجرَّهم هذا إلى المبالغة في التعامل مع العصاة، فكفروا مرتكب الكبيرة ونشأ عن هذا القول تكفير ولاة الأمر المسلمين، وتكفير العلماء لأنهم لم يوافقوهم على هذا الرأى، وأدى بهم إلى نبزهم بألقاب السوء، وأدى بعد ذلك إلى استحلال دماء المسلمين فإعجابهم بأنفسهم أدَّى إلى تعطيل النصوص وعدم العمل بها، ثم بعد ذلك إلى الوقوع في تكفير المسلمين.

- **الصفة الثانية**: زيغ المبتدع عن طريق الحق؛ لأنه ليس بعد الحق إلا الضلال، ولزيغ أهل البدع أسباب كثيرة منها الجهل، فالجهل يؤدي إلى حصول الخلط في مصادر التلقي وإلى الخلل في منهج الاستدلال وإلى المراء والخصومة في الدين وإلى الجدال بالباطل، فيؤدي ذلك إلى زيغ المبتدعة لأنهم اتبعوا الأهواء ولبَّسوا على الخلق ومالوا عن الحق إلى غيره.

- **الصفة الثالثة**: الحيرة، فمن سمات أهل البدع: الحيرة والتردد والاضطراب، وهذه صفة كلِّ منحرف عن جادة الحق، ولهذا آل الأمر بأساطين أهل الكلام لما تلبَّسوا بالبدع؛ إلى الحيرة والاضطراب، وربما رجع بعضهم في آخر عمره إلى منهج السلف، كالرازي والغزالي، وغيرهما.

قال الفخر الرازي: "ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن".

وله أبيات ذكر فيها حسرته ووحشته من مباحثاته، منها قوله:

نهايـــةُ إقــدام العقــولِ عِقَــالُ وأكثـر سَــعْيِ العــالَمينَ ضَــلَالُ
وأرواحُنــا في وَحْشَــةٍ مِــن جســومنا وحاصــلُ دُنيانَــا أَذًى وَوَبــالُ
ولـم نسـتفِدْ مـن بَحثِنَـا طـولَ عمْرنَـا سِــوَى أنْ جمعنــا فيــه قيــلَ وَقَــالُ

والغزالي؛ قيل إنه مات وصحيح البخاري على صدره، مع أنه قبل ذلك كان رأسًا في الأشعرية التي خلطت المنهج الأشعري بالتصوف.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا يثبت قدم الإسلام؛ إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمَن رام علم ما حُضر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه؛ حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، زائغًا شاكًا، لا مؤمنًا، مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا".

المسألة الثالثة في هذه الجملة: في قوله: فتكون خلفًا من نبيك ﷺ فإنك لن تلقى الله بعملٍ يُشبهه.

هذا فيه تنبيهٌ إلى أن الرد على أهل البدع ببصيرة وحِسبه؛ لا يُشبهه عمل، فهو من العمل المتعدي الذي سبق بيان فضله، وفيه أيضًا تأسٍ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ منهجه التغليظ في إنكار ما يتعلق بالشبهات أكثر من اشتداده في إنكار الشهوات، مع خطورة الأمرين على قلب العبد، ومن صور ذلك إنكاره وغضبه عليه الصلاة والسلام على مَن وقع في شبهه، ومنه اشتداده على مَن خاض في القدر من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسلت إليكم؟ إنما هلك مَن كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم أن لا تتنازعوا فيه**» رواه الترمذي.

وردَّ النبي ﷺ على مَن هجر بعض المباحات تعبدًا وتقربًا إلى الله عز وجل وقال: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمَن رغب عن سنتي فليس مني**» رواه البخاري.

وهذا إنكارٌ عليهم لما تلبَّسوا ببدعٍ قاصرة، ومَن وقع فيما هو أعظم من ذلك؛ فإنه أولى بالإنكار عليه.

وفي الجانب الآخر: لم يزجر النبي ﷺ الشاب الذي استأذنه في الزنا، فقد جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: "إن فتىً شابا أتى النبي ﷺ فقال :يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه، مه، فقال:«**ادنه**» فدنا منه قريبًا، قال فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال :لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال :لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال :«**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" رواه أحمد.

فالتغليظ على مَن وقع في أمراض الشبهات؛ أعظم من التغليظ على مَن وقع في الشهوات هو منهج النبي ﷺ؛ لأن صاحب الشهوة لا يتعبد لله بشهوته، وصاحب الشبهة؛ قد يتقرب إلى الله تعالى ببدعته، ومن هنا كان خطر الشبهات أعظم من خطر الشهوات.

وقد سار السلف الصالح على وفق المنهج الذي سلكه النبي ﷺ في التعامل مع أصحاب الشبهات والشهوات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على مَن عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياسٍ أو استحسانًا أو قول أحدٍ من الناس كائنًا مَن كان، ويهجرون مَن فعل ذلك وينكرون مَن يضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم، وبالتلقي بالسمع والطاعة ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتى يشهد له عملٌ أو قياس أو يوافق قول فلانٍ وفلان، بل كانوا عاملين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٣٦].

"وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخٌ أو جليسٌ أو صاحب".

الشرح

حذَّر أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسباب الصلة والمحبة والمودة مع أهل البدع.

والمراد: احذر أشد الحذر، أن يكون لك من أهل البدع:

- أخٌ ترتبط معه بعلاقات أخوة وتضامن ووئام.
- أو جليس؛ والجليسُ: صفة مشبهة، تدل على الثبوت، أي: احذر أن يكون لك مبتدع تُكثر من الجلوس معه.
- أو صاحب؛ من الصحبة، والصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر.

ومؤاخاةُ ومجالسة ومصاحبة أهل البدع؛ حذَّر منها السلف، لما يترتب عليها من مفاسد منها ما يلي:

المفسدة الأولى: في مجالستهم مخالَفة للنصوص الواردة في مفارقة أهل الباطل.

ومنها قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

والنبي ﷺ ترك ردَّ السلام على بعض المخالفين، حتى يتوبوا إلى الله، كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم أجمعين.

فمَن خالف هذه النصوص؛ فقد عرَّض نفسه للوعيد الوارد في قول الله ﷻ:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقد قال بعض السلف: "مَن جالس أو جلس إلى صاحب بدعة؛ نُزعت من العصمة ووكِل إلى نفسه".

المفسدة الثانية: في مجالسة أهل البدع إضعافٌ لصاحب السنة وقد ينحرف عنها.

قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يُلبِّسوا عليكم ما كنتم تعرفون".

وقال يحي بن معين: "داود بن المُحبَّر؛ ما زال معروفًا بالحديث، يكتب الحديث وترك الحديث ثم ذهب فصحب قومًا من المعتزلة فأفسدوه".

فاحذر أن تُعجب بنفسك وتزعم: أنَّ الله -جل وعلا- أعطاك عقلًا تميِّزُ به بين الحق والباطل، فالعقول بذاتها لا تستقلُّ بمعرفة الحقِّ، وهذا الفعل منافٍ لمذهب السلف القائم على الإعراض عن مجالسة أهل البدع، ومذهبهم أسلم وأعلم وأحكم، فعلى الإنسان أن يترك الغرور والعُجب بنفسه وأن يحذر مجالسة أهل البدع، إن رامَ السلامة في دينه.

قال ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ في الإبانة الكبرى: "عرفنا ناسًا كانوا يسبون ويلعنون أهل البدع، فجالسوهم وعاشروهم فأصبحوا منهم".

المفسدة الثالثة: اغترار الجهلة بأهل البدع بسبب مجالسة من ينتسبُ إلى العلم لأهل البدع، فيكون هذا المُجالِسِ سببًا في إضلالهم.

المفسدة الرابعة: في مجالسة أهل البدع؛ سببٌ لسوء الظن بمجالِسِهِم، وقد قال القائل:

عـن المـرءِ لا تسـلْ، وسَـلِ عـن قرينِـه   فكـلُّ قـرينٍ بالمُقـارَن يقتـدي

المفسدة الخامسة: في مجالسة أهل البدع؛ تكثيرٌ لسواد أهل الباطل، وجلبٌ لمحبتهم، وقد جاء عن ابن مسعودٍ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه قال: "اعتبروا الناس بأخدانهم فإنَّ الرجل لا يخادن إلا مَن يعجبه".

وعلى مَن رام السلامة في دينه عمومًا أن يجتنب الفتن وأهلها، فذلك عنوان السعادة.

فعن المقداد بن الأسود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: وأيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ السعيد لمَن جُنِّب الفتن، إنَّ السعيد لمَن جُنِّب الفتن، إنَّ السعيد لمَن جُنِّب الفتن ولمَن ابتلي فصبر فواها**» رواه أبو داود.

فكرَّر النبي ﷺ قول: «**إنَّ السعيد لمَن جُنِّب الفتن**» ثلاث مرات تأكيدًا على هذا الأمر، ثم قال: «**ولمَن ابتلي فصبر**»، يعني ابتلي في أزمنة الفتن، فصبر عليها ولم يقع فيها، «**فواها**»، يعني: ما أحسن مَن صبر عليها، وقيل المعنى: التحسر على مَن باشرها وابتلي بها.

هذه بعض المفاسد التي تحصل بسبب مجالسة أهل البدع.

والآثار الواردة عن أهل السنة في الزجر عن مجالسة أهل البدع كثيرةٌ جدًا، منها:

ما أورده ابن أبي زمنين الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يرى أنَّ هذه الآية نزلت في أهل الأهواء، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال عبدالرحمن بن أبي الزناد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وما بِرح مَن أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب، وينهون عن لقائهم ومجالستهم، ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريفٍ لتأويل كتاب الله وسنن رسوله، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور والزجر عن ذلك وحذر المسلمين في غير موطن".

وروى اللالكائي بسنده عن ابن أبي حاتم قال: "وسمعت أبي وأبا زُرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان: لا يفلح صاحب كلامٍ أبدًا".

وقيل للأوزاعي: إن رجلًا يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدعة، فقال: "هذا رجلٌ يريد أن يساوي بين الحق والباطل".

وقال مصعب بن سعد: "لا تجالس مفتونًا، فإنه لا يخطئك إحدى اثنتين، إما أنْ يفتنك فتتابعه؛ أو يؤذيك قبل أن تفارقه".

وقال ابن بطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلموا أي إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم؛ فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة مَن لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته".

والآثار في هذا الباب كثيرةٌ جدًا.

فينبغي مراعاة المصلحة والمفسدة في هذا الباب والتفريق بين مجالسة أهل البدع للاستئناس بهم، وبين مجالستهم بقدَر دون توسع لدعوتهم إلى الله.

فالأولى: ممنوعة كما جاء في الآثار الواردة في هذا الباب.

والأخرى: جائزة بشرطين:

الأول: أنا يجالسهم الكبار في العلم.

والثاني: أن يقصدوا بهذه المجالسة الطمع في إصلاحهم.

فقد كان النبي ﷺ يغشى الكفرة في محافلهم ومجتمعاتهم لدعوتهم إلى الإسلام.

واختار هذا القول وهو مجالسة أهل البدع من العلماء المعتبرين بقدَرٍ لدعوتهم؛ الشيخ تقي الدين والآجري وصوَّبه المرداوي في "الإنصاف"، لأنه ﷺ عاد صبيًا كان يخدمه وعرض عليه الإسلام فأسلم كما جاء في البخاري، وعاد أبا

طالب عمه وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم كما في الصحيحين، وأهل البدع أخف شرًا من هؤلاء من وجه؛ فتراعى المصلحة والمفسدة في مجالستهم وفق الضوابط الشرعية المعتبرة.

"فإنه جاء الأثر مَن جالس صاحب بدعةٍ نزعت منه العصمة، ووكِل إلى نفسه، ومَن مشى إلى صاحب بدعةٍ مشى في هدم الإسلام".

الشرح

أخرج جزءًا من هذا الأثر الهروي في «ذم الكلام»، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» عن محمد بن النضر الحارثي قال: "مَن أصغى سمعه إلى صاحب بدعة، نُزعت منه العصمة، ووكِل إلى نفسه".

والمراد: أنَّ مَنْ تعمد وأحسن الاستماع إلى المبتدع، وهذا دليلٌ على مجالسته لصاحب البدعة واهتمامه بذلك وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نُزعت منه العصمة، وهي الحفظ والوقاية؛ لأنَّ من أعظم أسباب الحفظ والوقاية والسلامة من الفتن؛ أن يتجنب المرء كل سبيلٍ يوصل إليها، ووكِل إلى نفسه، فمَن أُعجب بنفسه وجالس أهل البدع وترك العمل بالنصوص التي فيها النهي عن مجالسة أهل الباطل؛ فقد تُرك أمره إلى نفسه، ومَن وكِل إلى نفسه؛ تاه في أودية البدع والضلالة فهلك.

وأما بقية الأثر الذي ذكره هنا: فلم أقف عليه ولعل أسد بن موسى -والله أعلم- يريد الإشارة إلى أثر الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو قوله: "مَن وقَّر صاحب بدعة أعان على هدم الإسلام".

وقد بيَّنَ الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاعتصام» معنى هذا الأثر فقال: " توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم.

أحدهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خيرٌ مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته، دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وقِّر من أجل بدعته؛ صار ذلك كالحادي المحرر على إنشاء الابتداع في كل شيء، وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن وهو هدم الإسلام بعينه".

وجاء: "ما من إله يُعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى..."

الشرح

المعنى: لا أحد أبغض إلى الله من صاحب هوى؛ يعني صاحب بدعة، سُمُّوا بأهل الأهواء لاتباعهم الأهواء وتركهم السنن، قال الله جل وعلا: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وهذا الأثر لم أقف عليه مسندًا وقد ذكره الغزالي في إحياءه.

وقد أخبر الله ﷻ أن الهوى: قد يحل في بعض النفوس محل الإله، فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، يعني يأتمر بهواه، فما رآه حسنًا يفعله، وما يراه قبيحًا يتركه، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣].

أي: أضله الله عن الأجر والثواب على علمٍ منه أنه لا يستحق ذلك، بسبب اتباعه للهوى، وختم على سمعه، أي: طبع على سمعه حتى لا يسمع الحق، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى، وجعلَ على بصره غطاءًا حتى لا يُبصر الرُشد، فمَن يهديه من بعد إضلال الله له؟ أفلا تتذكرون! تذكر اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال، فالمعاصي ومنها اتباع الهوى؛ لا شك أن الله جل وعلا يُبغضها.

فعلى المرء أن يبتعد عن كل ما يُبغضه الله جل وعلا ومن ذلك الحذر من الوقوع في البدع ومجالسة أهل الأهواء.

وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفًا ولا فريضةً ولا تطوعا.

الشرح

جاء ما يدل على أنَّ الإحداث في المدينة النبوية؛ موجبٌ للعن، وهو عام يشمل استحقاق اللعن لمَن تعمد الإحداث في أي مكان.

فعن عليٍ رضي الله تعالى عنه قال: ما عندنا شيءٌ إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: «**المدينة حرمٌ ما بين عائر إلى كذا، مَن أحدث فيها حدث أو آوى مُحدثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرفٌ ولا عدل**» رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله: صرفٌ ولا عدل؛ قيل الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، وقيل الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة، نُقل ذلك عن الحسن البصري، وعن الجمهور عكسه، الصرف يعني: الفريضة، والعدل: النافلة، وقيل الصرف: الحيلة، والعدل: الدية أو الفدية، وقيل العدل: التصرف في الفعل".

وهذه كلها ثمره من ثمرات الإحداث، ويدخل في الإحداث فعل البدع.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا الحديث في سياق العموم، فيشمل كل حدثٍ أُحدِث فيها مما ينافي الشرع، والبدع من أقبح الحدث... وهو وإن كان مختصًا بالمدينة؛ فغيرها أيضًا يدخل في المعنى".

والآثار الواردة عن السلف في أنَّ أهل البدع لا يقبل الله منهم عملًا كثيرة، وهي محمولة على أنَّ هذه البدع:

- من قبيل البدع المكفرة، والكفر يُفسد سائر الأعمال.
- أو تكون هذه البدع منافية لشرط قبول العمل وهما الإخلاص والمتابعة، فتكون الأعمال مردودة، كالوقوع في الرياء الذي قد يفسد العمل، ومنه: الرياء الذي يكون قبل فعل العبادة.
- ومنه: الوقوع في الإخلال بالصلاة كالبدع التي تحصل في الصلاة كالوسوسة وتكرار التكبير.
- أو تكون محمولة على إحباط البدع لأجل عملٍ مخصوص على سبيل الجزاء حتى كأنه لم يُقبل.
- أو تكون محمولة على الزجر عن الابتداع والتنفير منه.

وسيأتي مزيد إيضاح لهذا في الجملة الآتية.

"وكلما ازدادوا اجتهادًا وصومًا وصلاة؛ ازدادوا من الله بُعدًا".

الشرح

سبب ازدياد بُعدهم عن الله جل وعلا؛ أنه قد تكون بدعتهم مكفرة لمنتحليها، ومضادة للإيمان، فتكون محبطةً لجميع عملهم، كإنكار أمرٍ مجمعٍ عليه معلومٍ من الدين بالضرورة.

ومثال ذلك: بدعة الجهمية، وهي إنكارهم للصفات، هذه بدعة مكفرة، وكإنكار القدرية: لعلم الله تعالى وأفعاله وقضاءه وقدره، وكبدعة الممثلة: الذين يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق ونحو ذلك من البدع المكفرة.

وقد تصحب عبادته من صوم وصلاة وغير ذلك، بدعٌ مفسقة، فتكون سببًا في رد عملهم، وهذا دليلٌ على قلة فقه هؤلاء، لأن البدع قد تؤدي إلى رد العمل، وهي التي لا يلزم منها تكذيبٌ للكتاب ولا لشيء مما أرسل الله به رسله، بل هي ناتجة عن نوع تأويل ونحوه، والبدع المفسِّقةُ ليست على مرتبةٍ واحدة، شأنها في ذلك شأن المعاصي.

أما العبادة التي توافرت فيها شروط قبول العمل؛ فإنها مقبولة عند الله ﷻ، فالبدعة بذاتها ليست سببًا في رد العمل إلا على سبيل إخلالها بشرطٍ من شروطه.

مثال ذلك: الغلو في العبادة؛ فهو بدعة، وسببٌ في ردِّ العبادة، فقد قال النبي ﷺ في الخوارج الذين يظنون أنهم على الحق وهم بخلافة: «**يخرج قومٌ من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا**

صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليه ولا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» رواه مسلم.

فالخوارج أهل اجتهادٍ في العبادة ومع ذلك ازدادوا من الله بُعدًا، بسبب غلوهم في الدين الذي جرهم إلى الغلو في تعظيم الذنوب، حتى كفروا مرتكب الكبيرة، وجرهم إلى الاستهانة بدماء المسلمين.

ومن صور غلو الخوارج: تكفيرهم لعلي رضي الله عنه ولجمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم بسبب قضية التحكيم المشهورة حينما رضي علي رضي الله عنه التحكيم -للمصلحة التي رآها في ذلك- ورضي بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما في هذه القضية؛ حيث كان الخوارج مع علي رضي الله عنه في حربه، فلما رفعت المصاحف في موقعة صفين من معاوية رضي الله عنه ومن معه رضي الله عنهم طلبًا للصلح، قالوا لعليٍّ رضي الله عنه: يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيتَ إليه، وإلا دفعنا برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلن بك؛ فلما قبل علي رضي الله عنه بذلك وكتب الكتاب بقبول التحكيم، أنكرت الخوارج ذلك، ورفضوا ما جاء في التحكيم مدَّعين أن ذلك تحكيم لغير شرع الله وأنه متضمن للشك في صحة موقفهم في حربهم لأهل الشام.

ثم لما رجع إلى الكوفة انحازت الخوارج إلى قرية حروراء؛ وبسبب جمعهم بين الغلو وسوء الفهم للقرآن الكريم، رفعوا زورًا وبهتانًا شعار: (إن الحكم إلا لله)، والذي صار فيما بعد شعارًا لأفراخهم، يكفِّرون من خلاله ويستبيحون بموجبه

أموال ودماء وأعراض المسلمين، فكفروا عليًا ﷺ والحكمين رضي الله عنهما ونفرًا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وقد كتب عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة إلى الخوارج وفيها: "فاقبلوا أمر الله وإياكم والبدع والغلو في الدين".

"فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده".

الشرح

ختَمَ أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بهذه الجملة التي فيها: الحثُّ على إظهار ما يحصل به بغض أهل البدع على الجوارح.

ومما ورد في إذلالهم:

ما جاء في ترجمة أبي جعفر أحمد بن عون الله؛ أنه كان محتسبًا على أهل البدع غليظًا عليهم مُذلًا لهم طالبًا لمساوئهم مسارعًا في مضارِّهم، شديد الوطأة عليهم مشرِّدًا لهم إذا تمكن منهم غير مبقٍ عليهم.

وأهل الأهواء هم مَن تسببوا في إذلال أنفسهم، فإنَّ من أعظم أسباب الوقوع في الذل المذموم؛ ابتداعهم في الدين ومخالفة أمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ والكبر والأنفة عن قبول الحق واتباعهم الأهواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مَن قهره هواه؛ ذل وهان وهلك وباد".

ويدخل في إذلال أهل البدع؛ التصريح لهم بالبغض والعداوة، قال الله جل وعلا: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

وقد كان الأئمة يصرِّحون ببغضهم لأهل البدع، وقد تقدَّم بيان مراعاة الحال في التصريح وعدمه.

ومما ورد في إذلالهم: قول القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته المشهورة:

يا أشعرية يا أسافلة الورى ... يا عمي يا صم بلا آذان

إني لأبغضكم وأبغض حزبكم ... بغضا أقل قليله أضغاني

لو كنت أعمى المقتلتين لسرني ... كي لا يرى إنسانكم إنساني

يقول: لو كنت أعمى لكان هذا خيرًا لي حتى لا أراكم ولا تروني، وهذا من شدة بغضه لهم.

ومن صور إذلال أهل البدع: معاملتهم بالغلظة والشدة واحتقارهم وإهانتهم.

قال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واتفقوا [يعني أهل السنة] مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مجالستهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم".

ويدخل في إذلالهم: قطع السلف لمعونتهم وعدم إظهار تعظيمهم بأي صورة من صور التعظيم، فلا يُقَدِّمونهم في المجالس، ولا يشهرون أمرهم، ولا يفعلون أي شيء فيه إظهار لشأنهم، وكانوا يسعون في إبطال مقاصدهم، وهذا كله من أجل إظهار ما يحصل به إذلالهم وأن لا يحصل معهم تعاون على الإثم والعدوان.

وقوله: " وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده".

إبعادُ أهل البدع وإذلالهم، دلَّتْ عليه أحاديث الخوارج ففيها الحث على قتال الخوارج ومنه قول النبي ﷺ كما جاء في الصحيحين: «**لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم**

قتل عاد» وجاء في الصحيحين: «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجرٌ لمَن قتل يومهم القيامة**».

وقد علَّق الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كلام أسد بن موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "واعلم -رحمك الله- أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلالة في ضلالة لا تُخرج عن الملة لكن شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين:

الأول: غلظ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد في قلوب الناس اليوم أنَّ الرافضي عندهم ولو كان عالمًا عابدًا؛ أبغض وأشد ذنبًا من السني المجاهر بالكبائر.

الأمر الثاني: أنَّ البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع" «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» (١/ ٢٨).

وهذا وجه من الأوجه المتقدِّم ذكرها الدالة على أنهم يزدادون بُعدًا عن الله تعالى.

وفي الختام أسأل الله -جل وعلا- أن يحييني وإياكم على التوحيد والسنة، وأن يعيذنا من البدع وأن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يرزقنا الهُدى والسداد إنه سميعٌ مجيب، والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومَن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.